

## مقابلة أديب شريح : صلاح عبد الصبور

بمعطياتها الى العالم ، الذي أصبح عنده « وجودا موحدا » . . . جاعلا من كل فكرة نظيرا لفكرة أخرى - أو نقيضا ، في بعض الاحيان - مما جعل لشعره حيويته ، الفكرية والتعبيرية ، التي كانت أساس ما فيه من تعبير دقيق ، متلون ، ومن تأثير أيضا .

فد تكسون من الميزات البارزة لشعر صلاح عبد الصبور لغته المعاصرة التي كثيرا ما تولد انقاعها غير المنفصل عن انقاع النفس . وان قدرته على تطوير احد الانواع للآخر هو ما يمنح شعره تلوينه الخاص ، ويكسب تجاربه ابعادا وخصائص لعلها من أهم ما ساعده على توطيد دعائم الحقيقة في الشعر ، كما تجلت له عبر الطريق الذي سلكه اليها ، ليساهم مساهمة فعالة ، حية وبقظة في إعادة « دفء الشعور » الى « الشعر » على نحو خاص ، رغم استخدامه مقاييس المنطق العقلي ، بحكم ثقافته الفكرية الواضحة ، المدعمة بموهبة استطاعت ان تستغل كل ما هو مفتوح امامها من امكانات الفكر والعصر ، لتتصرف بها بسهولة . حتى اننا نستطيع ان نعد شعره خلاصة متميزة لكثير من الحقائق : الذاتية والعرفية والموقفية ، التي تحفرها وتسير بها دوافع عنيفة أحيانا ، حزينة مرتدة الى أعماق الذات ودهاليز النفس أحيانا أخرى . فهو وان بدا في بعض موافقه غاضبا ، فان غضبه يظل من ذلك الغضب

ماذا يحصل للشعر حين تلتقي فيه أعماق الشاعر بأعماق الحياة . فيتفعلان ، ليكتسي الشعر طابعا من التأمل الفكري . عبر ابحار ذاتي في الحياة . مستعيرا منها رموز ، ومستمدا العناصر الحية في بناء عالمه ؟

مثل هذا هو ما يحصل في شعر صلاح عبد الصبور ، اذ تلتقي في تجربته ، التي أراد فيها ان ينفذ عبر الواقع الانساني ، كل هذه المكونات ، من خلال اطار فكري . ورؤيا تستمد معطياتها الأساسية من واقع العصر ذاته ، ليتمدد بها الى حقائق انسانية وكونية قد تبحت عن نباتها من خلال الفلق الانساني العميق ، وقد تجعل من قلفها سمة العصر وحضارته .

من هنا ، قد يكون صلاح عبد الصبور من بين قلة من الشعراء اخلصوا لواقعهم . الذاتي والاجتماعي ، واستمدوا منه عناصر النظر للواقع القومي ، والواقع الانساني ، بل ولواقع العصر ذاته . . . ترفده ، في هذا ، رؤية لها مقوماتها الفكرية والذاتية ، اضافة الى المقوم الاساسي : الموهبة . . .

فصلاح عبد الصبور ، الذي ينتمي الى جيل من الشعراء نظف غابة الشعر العربي من كثير من الكلام الرديء والرؤى المسطحة ( مما كان ينسب الى الشعر ) هو شاعر ، ان كان قد بدا من « الخاصة » الذاتية والاجتماعية - بما لها من ابعاد - فانه على عجل ما انتقل

لقد شكونا كثيرا في السابق ، من استخفاف الصحف عندنا ، اسبوعيتها ويوميتها ، بالصفحات الثقافية التي يعهد في اكثرها الى من لا يرتفعون الى مستوى المسؤولية . وقد كنا نربا ب « المستقبل » التي تريد ان تكون جادة ، وتعمل كثيرا من اجل ذلك ، ان تقع في هذا الذي يشكى منه . . .

اما بول شاوول ، فاني اشفق عليه من يوم يكون قد استنفذ فيه اعلان موت المدارس الادبية والمجلات الثقافية ، فلا يجد الا ان يعلن موت نفسه هو بالذات !

اقول اني اشفق عليه من ذلك اليوم ، ولكني اتمنى مع ذلك الا يأتي مثل هذا اليوم ، بل ارجو ان يطول به العمر حتى يكف عن الاستخفاف بحرية الكلمة ، وعن اطلاق الاحكام المجانية الطائشة ، وان يعي ان منحه منبرا ثقافيا ما يقتضيه مزيدا من احترام الحرية ومن تعميق حسن المسؤولية !



الزميل رئيس تحرير « المستقبل » .

لقد اوردت هنا جميع المقاطع التي احتوتها كلمة مراسلكم الادبي في بيروت . ولعلكم ترون من مناقشتي لها ان افكاره فيها متداعية متهافتة . واني الان اتساءل : الا تعتقدون انها حملة معتدية وظالمة تلك التي يقودها هذا المراسل على « الآداب » ؟ او لا تعتقدون ان اقدام التحرير عندهم على نشر فصول هذه الحملة انما هو مشاركة في تبنيها مع المراسل ؟

لقد سبق لبول شاوول ان أعلن موت الشعر الحر . . . وها هو في كلمته هذه يعلن موت مجلة « الآداب » . . . ايكون نتحرك لهذه الكلمة الاخيرة داخلا في ما تعتبرونه « حرية الفكر » ؟ هناك حرية فكر بلا تحمل مسؤولية ، وبلا محاسبة على هذه المسؤولية ؟ وهل سبق لجريدة او مجلة في العالم كله ان تبنت اعلان موت زميلة لها ، وهذه الزميلة ما تزال تصدر ، مهما كان الرأي في قيمة مادتها ؟

الذي لا يبلغ حدود الثورة . وان كان ينشد المأساة بكل ما في الاعماق من ألم المعاناة . ان « شخصيته الواعية » تظل ، على الدوام ، متحكمة باحساسه وموقفه ، وبالتالي في ما ينعكس في تجربته .

لعل هذا . مضافا الى طبيعة تعامله مع اللغة الشعرية ( حيث قرب ما بين اللغة في أكثر استخداماتها الشعرية خصوصية ، واللغة في اطارها الفكري والعقلي ، واللغة في فالبها البسيط ) هو ما جعل صلاح عبد الصبور الشاعر . يكون في اتجاه مخلف عن اتجاه معاصريه ، أو مجاليه من الشعراء . ومن هذه « النقطة المحورية » يمكن أن نبدأ الحوار معه :

● في البداية ، هل لك أن تقول لنا شيئا عن المرحلة التي ولدت فيها شاعرا اختط ، ومنذ البداية ، طريقه الفني ، واتخذ لشعره صيغة من التجارب جعلت منه شاعرا ذا صوت متميز في مرحلتنا ؟

— الواقع لو انني أردت أن اجيب اجابة من طراز الاجابات التي يجيب بها بعض الشعراء ، قلت : انني لا اذكر متى ولدت شاعرا . ويحضرني هنا مشهد من مسرحيتي « بعد أن يموت الملك » ، اذ تسأل فيه الملكة الشاعر : متى صرت شاعرا ؟ فيقول : اني لا اذكر متى صرت شاعرا ، أو متى كان لوجهي هذا الانف ، أو كانت لي هذه المتية .

في الواقع ، يبدو لي ان المزاج يولد مع الانسان ، ويختلف مزاج الانسان ما بين المزاج الفني والمزاج العملي .

اذكر انني كنت مفنونا . منذ ان وعيت الحياة ، لا بالشعر ، ولكن بالاشك الفنية المختلفة ، في صورها الساذجة . مفتونا بالحكايات .. بالقصص التي تحكيها لنا العجائز من أهلنا . مفتونا بكتاب المطالعة .. عندما رأيت فيه بضعة أناشيد . ربما تبدو الآن ركيكة بطبيعة الحال ، انما كانت تمثل في ذلك الوقت ايقاعا موسيقيا يستهوي الأذن . مفتونا بالالوان ، خاصة الرسوم التقليدية والشعبية التي كانت تعلق على حوائط البيوت القديمة . مفتونا بالزينة التي كانت ترسم على واجهات البيوت عند عودة بعض أهلنا من الحج مثلا . أو في المناسبات الأخرى ، كالافراح وغيرها . مفتونا بالسرايق التي تنصب في الآتم . كل هذه الاشكال الفنية كنت اجد في نفسي حيناً كبيراً لرؤيتها .

بعد ذلك ولد في نفسي ميل الى تقليد ما أقرأ . وكان أول ما بدأت بقراءته هو هذه الاناشيد ، وبعضها في المرحلة الابتدائية .. بعضها طيب ، نوعا ما ، لانه من شعر شوقي ... فولد في نفسي ميل الى تقليد هذه الاناشيد ، فلما مضت بي السنوات ، وقرأت بعضا من الشعر في مختارات كانت تعرف ب « المنتخب من

أدب العرب » ، وكانت تلقى الينا في المدارس في أول المرحلة اثنوييه . فرأت بعض قصائد للمتنبي أو لغيره ، مثل قصيدة المتنبي : « ارى على أرق ... » . وقرأت معلمة عمرو بن كلثوم الشهيرة .. فولد في نفسي ميل لتقليد هذه النماذج ، وكنت . يومها ، في سن الحادية عشرة . والثانية عشرة .. استخرج القوافي واضعها امامي . ثم ابدأ . بعد ذلك . في صياغة ابيات تنتهي بهذه القوافي . وحتى الآفاق التي كانت تدور فيها هذه المحاولات هي بذاتها الآفاق التي دارت فيها المحاولات الأولى ، فكتبت بالفخر كعمرو بن كلثوم ، وبروح شكوى الزمان . تقليدا للمتنبي . مصطنعا نفس اللهجة . ونفس القوافي .

انا اعتقد ان الفن كله يبدأ في ظل التقليد . واذكر هنا فولا لاحد النقاد . وهو ان الرسام عندما يرسم الطبيعة لا يرسم الطبيعة مستوحيا الطبيعة ، ولكنه يستوحى ما سبق رسمه من لوحات للطبيعة . فهو يبدأ من الفن ولا يبدأ من الحياة . انا اعتقد ان الفن يبدأ من الفن .. يبدأ تقليداً للفن .. ثم لا يلبث الفنان . بعد ذلك عندما يقوى عوده . ان يجد طريقه الخاص ، ولكن من خلال محاولات التقليد الكثيرة . ان محاولات التقليد عندي استمرت فترة طويلة نسبياً ، لانها بدأت مبكرة . في البدء قلدت التراث الجاهلي والاسلامي ، ثم ، بعد ذلك ، فرات ادب المهجر . وادب جبران بالذات ، وانا في سن الرابعة عشرة والسادسة عشرة . فقلدته ايضا ، وكتبت نماذج فريية من هذه النماذج ، ثم قلدت ادب المعري . واذكر انني فتنت بالزوميات عندما قرأتها ( وكان ذلك في سن الخامسة عشرة ) ، وحاولت أن اكتب بعض القصائد ملتزماً فيها « لزوم ما لا يلزم » ، أو هذه القوافي المزدوجة ، أو القوافي المركبة .. هذا اضافة الى شعراء العصر الذي طلعتنا فيه ، مثل « علي محمود طه » ، و « محمود حسن اسماعيل » ، و « أبو شبكة » . وغيرهم من شعراء هذه الفترة . كنا نقرأ نماذجهم ونحاول ان نحاكيها .

في ظل التقليد يمضي الانسان .. ثم ، بعد ذلك ، ما يلبث أن يتوقف ، وانا فعلا وقفت فترة طويلة قبل أن أبدأ الكتابة مرة ثانية ، فكان لي بدايتين : البداية الأولى بداية التقليد . ثم بعد ذلك ما لبثت أن توقفت عن قول الشعر تماما لمدة سنتين أو ثلاث ، محاولا القراءة والتأمل والتأمل . وايضا مقارنة بين الاشكال الفنية المختلفة ، فقد كان ادي طموح ، في ذلك الوقت ، الى كتابة الشعر والقصة والمسرح وكل الاشكال الفنية ، لكنني ما لبثت . بعد سنتين . وكنت بلغت الثامنة عشرة ، أن انصرفت كلية الى الشعر . وكتبت محاولا أن أستوحى حياتي الخاصة .

في تصوري ، ان الشاعر يبدأ في المرحلة الثانية بداية ذاتية .. محاولا أن يستوحى أحزانه الخاصة ،

أو افراحه الخاصة . بعض الشعراء المرتبطين بحركات سياسية يبدأون بداية اجتماعية . أنا ، كان لي ارتباط ببعض الحركات السياسية ، لكنني كنت دائما أفصل بين هذين العالمين : عالم الفعل . . والعالم الآخر ، وهو عالم الحديث أو التأمل أو الاحساس ، فبدأت بداية ذاتية محاولا أن أعبر عن مشاعري الخاصة .

لا تستطيع الشجرة أن تراقب كيف نمت ، ولا يستطيع الانسان أيضا أن يعرف كيف نما . الا اذا وقف وقفة محايدة واستطاع أن يتعد عن نفسه وأن يفارق ذاته ، وربما كان هذا هو الذي يستطيعه الانسان ولا يستطيعه الشجرة . . ان ينظر الى نفسه ويجرد منها « أنا أعلى » ، وينظر ليشهد نتائج تجربته . الواقع اني لا أستطيع أن أزعج نفسي هذه « القدرة المحايدة » ، ولكنني أتصور انني ، خلال هذه السنوات الطويلة ، قد تبدلت وسائل وطرق ، وربما أصبح احساسي أكثر ثراء ، ولكنه ، بلا شك ، أصبح أكثر تعقيدا ، بحيث ان الانسان ، في فتيرة الخصوصية المجانية الاولى ، كان يكتب كثيرا ، لان الاحساس حي يقظ . . اما الآن ، فالاحساس متأمل ، هادئ ، أو ربما كان أكثر عمقا ، ولكنه يحتاج من الشاعر الى جهد ضخم لاستباره ومعرفة أغواره . . لذلك عندما يكتب الانسان في تلك الفترة المجانية الاولى . . عندما يصبح عنده كل شيء ممكنا التعبير عنه بسهولة وعفوية وتلقائية ، يصبح بعدها حريصا على أن يعمق تجربته ، وأن يكون تعبيره ، بالتالي ، عميقا كهذه التجربة .

وانا أترك هذا للناقد . . وربما كان الناقد أكثر مني خبرة وبصرا وحيادا .

● من يتابع شعرك يجد هناك محورا أساسيا يشد اهتمامك الشعري ، أو توجهك ، هو . . الانسان في رحلة الحياة .

— نعم ، لاني اعتقد ان الشعر ، وكل أدوات التعبير هي صوت الانسان . . أو هي الجهد الخلاق ، أو الطاقة الخلاقة للانسان ، والانسان ، فيما أرى ، هو محور الكون ، وهو صانعه ، وحقيقة ان الكون وجود ، ولكن الكون وعي أيضا . وبدون وعي الوجود ربما كان الوجود ، بالمعنى الفلسفي ، غير موجود ، وسيظل الكثير من العواطف البشرية غامضا ما لم نعبر عنه شعرا . . وأذكر هنا انني كتبت ذات مرة أتحدث عن : ما الغيرة اذا لم يتحدث عنها شكسبير في « عطيل » ؟ ان الكثير من العواطف البشرية رغم انه موجود ، فان الفنان هو الذي جلاه .

الشعر هو نبض الانسان وصوته ، والانسان هو ما يهمنا ، وما يهم الشاعر . والانسان هو ما يهم التقدم ، فعندما ننظر الى الامور نظرة انسانية ، مستهدفين النظرة الى الانسان ، نستطيع ان ندرك القصد في

التاريخ ، والقصد في الحركة البشرية . انما اذا نظرنا الى أشياء أخرى ربما أصبح التاريخ بالنسبة لنا مسيرة عشوائية . والواقع ان الفلسفة ، هي الاخرى ، ترتد اليوم الى النظر الى الانسان ، بعد أن كانت ، في فترة من الفترات ، تبحث في الظواهر الاقتصادية . . في تطور الافكار بعيدا عن الانسان ، في فترة أخرى ، ثم أصبحت أكثر استقامة في النهج عندما بدأت تنقسم على نفسها ، وتكوّنت منها جملة أشياء ( علم النفس ، للبحث في الانسان نفسه . . ويخرج من العلوم الاخرى علم الانثروبولوجيا للبحث في الانسان ، مسلكا وثقافة وحضارة . والتاريخ نفسه أصبح اهتمامه بالانسان ككل في حركته التاريخية أكثر من اهتمامه بالقيادة ) .

نحن بحاجة الى « ارتداد » للفن ، بهذا الاتجاه . ان يتجه اني الانسان ، محاولا استكشافه ، لان الانسان اذا استكشف ، واذا استطاع الانسان ان يتقدم ذهنيا ، عقليا ، روحيا ، وثقافيا ، معنى ذلك ، بالتالي ، ان الحياة تتقدم . وهنا يصبح الفن جديرا بأن يكون أداة من أدوات خدمة المجتمع ( ليس بالمعنى الساذج الذي كان يروج له في بعض الفترات في ثقافتنا ، انما بمعنى أكثر عمقا وانسانية ) .

● لكن يبدو ان هذا الانسان عندك مشدود الى نوع من القدر الحياتي ، وهو كثيرا ما يقف مع مصيره ، أو ما يحيط به من مصير انساني عام ، موقفا صوفيا ، فتراه ثابت القلب ، يجابه الزمان واحداثه بالحزن ، ولا يخرج على ارادة الحياة والتاريخ ، أو لا يجابهها الا بالاسئلة . . بانارة بعض مشكلات الوجود المرتبطة بهذا المصير .

— في الواقع ان الانسان ، كفرد ، ضعيف أمام الظاهرة الكونية ، والا لما لجأ الى أشياء كثيرة ، كالدين والتجمع ، وما كان الانسان ليكون مجتمعاته لولا احساسه بالضعف ازاء الظاهرة الكونية ، الاحساس بالضعف هو الذي يولد عند البشر حاجة ان يصبحوا اجتماعيين ويكوّنوا مدنا وحضارات . . ثم ان احساسه بالضعف الداخلي هو الذي جعله يفكر بظاهرة التأليه ويبتدع ادبانا . واحساسه بالضعف ازاء الظاهرة الكونية ، أو ازاء ما نسميه بـ « الشرط البشري » هو الذي جعله يبتدع ، خوفا من الفناء ، اثبات الوجود على الحجر . . يثبت وجوده بالانعام ، وبالشعر . الانسان لو لم يحسّ بهذه الظاهرة الكونية ، والوقوف في مواجهتها ، فانه كان سيبقى مجرد حدث عابر في تاريخ الكون .

لا أريد القول ان لديّ مثل هذا الاحساس . . انما عندي محاولة لتنبية الانسان الى جسامه الظاهرة الكونية . . الى جسامه الوجود البشري . . الى ان

الفن عموما ، وقائمة عليه النظرة الى الانسان في الفن .  
فالفلسفة والفكر لم ينظرا الى الانسان ، في يوم من  
الايام ، كظاهرة .. انما نظرا الى الانسان ، دائما ،  
كباطن ..

اذن ، هناك في داخل الفرد شيء جوهري ..  
هذا الشيء الجوهري هو نفسه . واتصور ان الانسان  
نتيجة وعيه وفكره ، وليس هو نتيجة وجوده البدني  
المتجسد في اشكال معينة .. ولذلك فان للانسان قيمة  
نفسية ، والانسان ككائن ، ليس كائنا من لحم ودم فقط ،  
وانما هو ، بالاساس ، كائن نفسي .

### ● يخطر لي هنا ان اسالك : اي الفترات كانت أكثر خصبا في نتاجك ؟

— لو تمهلت لانظر في حياتي الادبية التي استغرقت ،  
حتى الآن ، ما يقرب من ست وعشرين الى سبع وعشرين  
سنة سأقول : انها تتمرّ بما يشبه الدورات . اي انني  
اعمل سنتين أو ثلاثا ، أخرج من عمل لادخل في عمل  
آخر ، مختلف عنه . قد اكتب عشر مقالات ، أو عشرين .  
قد اكتب دراسة .. واكتب مسرحية ، واكتب عشر  
قصائد في فترات متقاربة . بعدها فجأة اجد ذهني  
مجذبا ومقفرا لمدة سنتين أو ثلاث اخرى .. واكون  
خلال هذه الفترة وكان لم يكن بيني وبين القلم عهد من  
قبل .. وحين امسك بالقلم احسّ كائني امسك به  
للمرة الاولى . لكن اجد نفسي ، بعد هذا التوقف ، ان  
هذه الفترة لم تضع عشا .. اذ اجد تغييرا كبيرا ، اما  
في ادواتي الفنية او في مفهوماتي ونقاط انطلاقي .

هناك فترة اولى اسميها انا : « فترة العطاء  
المجاني » .. وهي فترة وقعت ما بين العشرين والسادسة  
والعشرين من عمري . وهي فترة اليقظة .. كان  
الانسان يستيقظ فجأة على انه يمتلك أداة .. فيكون  
خصبا ومعطاء .. بعدها ، من الضروري له ان يتوقف  
قليلا لكي يراجع نفسه ، ولكي يزداد ثقافة ، وليمتليء  
من جديد ، وينطلق بين امتلاء وعطاء ، ثم امتلاء وعطاء ،  
 طالما ان الحياة تدور . هذا هو تصوري .. وأنا لا اجبر  
نفسي قط على الكتابة .. ربما كانت الكتابة هي آخر  
ما افكر فيه من يومي .. قد افكر في القراءة .. انما  
لا اكتب الا اذا احسست بهذا الباعث الملحّ للكتابة .  
عندئذ قد ابدا ، وادخل عالم الكتابة ، واطل فيه شهورا  
طويلة حتى اخرج ، مرة ثانية ، الى عالم القراءة والتأمل ،  
وتظل الدورة هكذا ..

وانا اعتقد ان اخصب فترات حياتي لم تجيء بعد ،  
لاني اتصور ان من الضروري خلال هذه الفترة ان  
يكتسب الانسان أشياء كثيرة .. فاذا كان قادرا على  
التعبير عنها فلا شك انها ستكون أجود بكثير مما مضى  
بتأثير النضج الدوقي ، والنضج في النظر الى الحياة ،  
والنضج العقلي ، ونضج الادوات الفنية ايضا .

اربه اعباءه ، ولي اسئلتني التي اطرحها دائما ، اذ ارى  
ان الانسان يجب أن يكون على وعي ، لان رحلة الحياة  
ليست نزهة ، وليست صفحة مكتوبة على الماء ، الحياة  
مكتوبة على الصخر ، الانسان يكتبها على الصخر ..  
ومن حسن الحظ انها مكتوبة على الصخر ، لان معنى  
هذا ان الانسان سيستحذ ملكاته ، محاولا أن يجابه  
مصاعب الحياة من حوله .

بعض الناس يصورون الحياة على انها هينة ..  
والانسان على انه قادر على قهر الحياة وقهر الاسئلة  
وقهر الموت وقهر اليأس .. و .. و .. في الواقع انا ،  
بهذا ، كائنا نخلق انسانا مسطحا لا يترك اثرا على صفحة  
التاريخ .

أريد ، من هذا ، القول : ان الأشياء التي يواجهها  
الانسان تستحذ ملكاته .

قد تكون هناك نبرة حزينة في شعري ، انما هي  
ليست نبرة حزينة يائسة .. فانا اقول دائما : انه في  
ظلال التأمل لا بد أن يولد الحزن .. لان الانسان حين  
يتأمل يولد في نفسه شيء من الرؤيا ، وتجتمع عناصر  
الكون ، محاولا اتخاذ موقف منها . ولكن بالرغم من  
الحزن ، فانا أمضي ، والانسان الذي يمضي ليس حزينا .  
انما يمضي وهو ثابت وساكن .. هو الذي يشقّ طريقه  
.. فانا لا ادعو الى اليأس اطلاقا ، وأرجو ان لا يأس  
يوما ما .. وأنا ، بالرغم من كل الظواهر التي قد تدعو  
اليأس في عالمنا المعاصر ، لا ادعو الى اليأس ، وانما  
ادعو الى تعميق الرؤية ، ومحاولة النفاذ الى القصد ..  
قصد الحياة ، بعيون مفتوحة للاخطار ومقدرة لها ،  
لكن ، كما نقول ، فنحن نبني حضارتنا على فوهة  
بركان . ولكن ، لا بد يوما ما من تطويع فوهة البركان  
هذه .. تطويع البركان وتدجينه . هذه الاحساسات  
المركبة هي جوهر الحياة البشرية .. وهي البتوهـر  
الذي يحاول كثير من الشعراء والفلاسفة الاقتراب منه  
وادراكه .

وانا اتصور ان الحياة الجديرة بأن تعاش ليست  
هي الحياة السهلة .. وليست هي الحياة العشوائية  
التلقائية التي يسلمنا فيها يوم الى يوم آخر ، انما هي  
الحياة الاعمق والاكثر ثراء ، وفي نفس الوقت : الاكثر  
حكمة : والاشد حزنا .

### ● هل الحقيقة ، في مفهومك وقناعتك ، تكون في حياة الانسان .. أم في واقعه النفسي ، منبثقة من خلال احساسه الداخلي ؟

— انا دائم القول ان الطب اخرج لنا ما يسمى  
« اعراض الجسم النفسية » .. وقالوا ان هذا هر  
اكتشاف علم الطب . ان الاعراض النفسية تؤثر على  
الجسم . ان اكتشاف علم الطب هذا هو الذي يقوم عليه

## ● هل لي أن أسأل هنا عما يدعو الشاعر أحيانا لان يتوقف فترة عن كتابة الشعر ؟

— اذكر تشبيها غريبا في هذا الصدد ، اذكر كلمة ل « ت.س. اليوت » في مسرحية من مسرحياته . يقول : ان عند الفنانين خوفا دائما من فقدان القدرة الابداعية . وهذا الخوف هو نظير الخوف الذي يعاني منه كثير من الرجال العاديين من فقدان القدرة الجنسية .

ارى بهذا التشبيه ان اذهب خطوة ابعد . فأقول لك ان المسألة كمسألة الوقوع في الحب . فالانسان قد يظل سنتين او ثلاث سنوات لا يقع في الحب . . وفجأة يقع فيه . وليس للمسألة من تبرير ، لانك تقترب من الشعر محبا . . تماما كالباعث على الحب ، من الممكن ان لا يحسّ به فترة . وفجأة يحس بهذا الباعث . وليس لذلك من سبب غير تجمع هذه العواطف والمشاعر والافكار ، وانا اريد القصيدة تتجمع ساعة ما تتجمع ، بعد ان كانت متفرقة في النفس . كيف يكون الشاعر صورته ؟ انه يكونها من جملة آلاف المراثيات التي شاهدها ، وآلاف الكلمات التي قرأها ، وآلاف الافكار المنتشرة في قراءاته ، وآلاف الاحساسات التي تحسستها نفسه خلال سنوات بعيدة وطويلة . فالقصيدة حين تبرز في ذهن الانسان ، كأنك تلقي خيطا في اناء مشبع لتكوّن بلورات ، تروح مبلورة حولها كل هذه الاحساسات وتستدعيها من أعماق الاعمق ، لتكون منها نسقا ، هو القصيدة . والانسان لا يملك ضبطا لهذا الخاطر الذي يبرز فجأة ، ويجمع حوله كل هذه الاشياء . . كما لا يملك تنبؤا به ، ولا قدرة على ان يستدعي ذلك او يقربه ، الا اذا الفى كونه شاعرا ، او اعتبر نفسه « حرفيا » .

## ● لكن ، وبالنسبة لك بالذات ، مررت بفترات تحول فيها الشعر عندك من القصيدة الى المسرحية . .

— انا لا افرق بين الاشكال الفنية ، ولا الادبية . حتى في قراءاتي . . من الممكن ان اقرأ قصة «السقطه» لكامو ، فأقول عنها انها قصيدة . وهذا هو رأيي بها ، فالاشكال كلها ، في الآخر ، تعبیر عن جوهر واحد . فنظرتي الى المسرح ، مثلا ، اوجدت الكثير من الخراب بيني وبين زملائي . . فانا اعتبر ما يسمى ب « المسرح الواقعي » هو « شكل آخر » ، وليس مسرحا . . قد يكون شيئا آخر ، مقالة مثلا . ( لقد قلدوا فيه « ابسن » ، ومسرح ابسن مسرح شاعري . . انما هم قلدوا « الأسنية » دون ان يفهموها . . فالأسنية شعر ) . . لقد خططوا لهذا المسرح عندنا بسهولة بالفة ، فالمسرح ليس « فن محاكاة الحياة » . . ان أرسطو حين

قال : المحاكاة . لم يقصد المحاكاة بهذا المعنى . . كان يقصد ان يخلق حياة معادلة للحياة . ولكن اكبر منها مجمعا ، والناس فيها أطول قامة من الحياة . . وهكذا .

أريد من هذا . ان أقول لك ان الشعر موجود في كل ألوان الفنون . . موجود في الفن التشكيلي . . في الموسيقى جوهر تجريد الشعر . . فالموسيقى شعر تجريدي . . المسرح الجيد شعر . . والقصة الجيدة شعر . . انا اعتبر ان هذه الادوات الفنية كلها شعرا . فحين اكتب مسرحا اتصور انني اكتب شعرا . فالكاتب او الشاعر عنده اداة هي الكلمة . . والكلمة توضع في أي سياق . او في أي أنساق او أنماط مختلفة ، لتكوّن العمل الفني . ولذلك فانا اطمح في يوم ما أن اكتب رواية . فانا ابتداء الكتابة بالقصة القصيرة . . لكنني وجدت قصصي رديئة فعدلت عنها ، انما انا اعتبر كل أنماط الكتابة وفنونها تعبيرا شعريا . . واعتبر ان الشعر هو الفن بشكل عام .

## ● لا أدري . . هل حصل عندك هذا التحول من القصيدة في شكلها الفني الى « المسرح الشعري » تدريجيا ؟

— نعم . . هو تدريجي . وهناك شيء ما قد عمق هذا الاتجاه . هو تدريجي بمعنى انه كان دائما في ذهني ان أحاول كتابة المسرح . . وبما انني اكتب بالفصحى وبالانعام الشعرية او بالوزن ، فلا بد ان يكون هذا المسرح شعرا بالضرورة . فتوفيق الحكيم مثلا لا يستطيع ان يدرك العروض العربي ، فيحاول ان يضع قدرا من الشعاعية في « أهل الكهف » و « شهرزاد » ، وغيرها ، انما لو كانت عنده الملكة العروضية فربما كان كتب « مسرحا شعريا » . اما انا فلدي هذه الملكة . فكتبت مسرحا شعريا ، بدليل انني كتبت شعرا ، ولذلك كتبت بهذا الشكل وانا أقول عن هذا المسرح الذي اكتبه انه « مسرح » فقط ، اما « شعري » فهي « الطراز » . وقد كان عندي هذا الطموح ، او هذه الرغبة من السنوات الاولى ، نتيجة اعجابي بأشكال المتحاورين ، وكيف يكشفون الحقائق ويتكشفونها خلال حوارهم ، وكيف ان المشاكل تنمو وتعرض في أثناء الحوار . فكان الرغبة في المسرح كائنة في حياة الانسان . ففي الفنون جميعا شكل واحد ، فيما اتصور ، هو « شكل اعترافي » . . فالفن اما ان يكون اعترافا او حكاية الاعتراف ، يتمثل في القصيدة الفنية . . اما الحكاية فهي في المسرح وفي الرواية . . احيانا يكون مزيجا من الاثنين ، أي ان هناك اعترافا من خلال حكاية ، والنزعة التي تكون موجودة عند جميع الفنانين هي انه اما يريد ان يعترف او يحكي .

## ● بالنسبة لك ، ماذا كانت المسألة عندك : اعترافا أم حكاية ؟

- اعتراف وحكاية معا . لانني كنت أعاني مشاكل معينة ، هي مشاكل حياتية ، الا انها تنعكس بشكل « وعي » .

## ● على وجه التحديد ؟

- دور المثقف في عالمنا المعاصر . ففي وطننا العربي بالتحديد ، المثقف لا يعني فيه دورا ، انما يعتبر في نسيج الكيان الاجتماعي عبئا ، يعتبر عبئا ، وترفا لا لزوم له ، فهو اما أن يتسخر كأداة ، أو يتترك دوره . ليتبنى أدوارا أخرى ، تاركا دور المثقف . فالمثقف - نظرا لكون كلمة ثقافة جديدة في وطننا العربي - بأبعاده المعاصرة ، يعتبر عبئا على الحالة الاجتماعية ، وعلى النسيج الاجتماعي ، وكل القوى تعمل على طرده . فالتكنوقراطيون ، مثلا ، يعتبرون المثقف عالة على المجتمع ، ويستهيئون بعمله . ومن هنا فهو في نظرهم ليست له ضرورة اجتماعية . وضرورته ليست ضرورة النجاة أو ضرورة الحداد ، أو ضرورة المهندس والكيميائي ، أو ضرورة رجل الشرطة أو الجيش ، وهذا يكاد يكون الاجماع العام عندنا في وطننا .

إضافة الى هذا ، فان السلطة تعتبره عبئا ، أيضا ... . لانه اما أن يتحدث بصوته الخاص الذي لا ينسجم مع صوتها ، وهنا يكون عبئا عليها . أو يدجن ويقزّم ويتحدث بصوت السلطة .  
ربما كانت هذه هي الازمة عندي التي كتبت بفعلها :  
« مأساة الحلاج » اولى مسرحياتي .

## ● وهل اكتشفت شيئا ما ، محمدا ، من خلال كتابتها ؟

- اكتشفت ان هذه الاداة ، أو هذا النسيج الفني غني . . فما لا يستطيع قوله في القصيدة - بحكم كون القصيدة محددة بينائها الفني - يمكن أن يقال من خلال هذا الشكل ، فأحببت هذه التجربة ، ومضيت فيها ، فكتبت ، بعد ذلك ، أربع مسرحيات ، محاولا أن أنوع المهادات ، أو خلفياتها . . من المهاد الاسطوري في « الاميرة تنتظر » ، الى المهاد المأساوي - الضاحك في نفس الوقت - في « مسافر ليل » ، الى المهاد الاجتماعي المعاصر في « ليلي والمجنون » ، الى محاولة تكثيف تجربة انسانية ببناء شكل شبه اسطوري في « بعد أن يموت الملك » .

إضافة الى هذه المحاولات ، كانت هناك محاولات لغوية أيضا ، في داخل هذه المهادات . . من حيث استعمال اللغة التي تختلف في « ليلي والمجنون » عنها في « مأساة الحلاج » . ففي « مأساة الحلاج » حاولت استعمال اللغة مع خلع عطور العصر عليها بحيث تصبح

لغة شبه عباسية . أما في « ليلي والمجنون » فأتصور ان هناك لغة شبه عصرية . أما في « بعد أن يموت الملك » فهناك لغة شبه اسطورية . . مثل لغة ألف ليلة وليلة . ولو انها كانت مكتوبة شعرا . . بما في لفظة ألف ليلة وليلة ولفظة الاساطير الاولى من مفردات . . وبما فيها ، أحيانا ، من كشف واستعمال لمفردات قد يبدو فيها جنس أو إحياءات معينة ، كل هذا قد جاء بشكل ما .

لقد وجدت ان الشكل المسرحي هو من الاشكال الطبيعية فعلا لافراغ الامتلاء الشعري ، فالهم هو الامتلاء بالشعر . . بجوهر الشعر ، ومن ثم البحث عن شكل يوضح من خلاله ، سواء كان مسرحا أم قصيدة ، أم رواية .

## ● قبل قليل ذكرت «اليوت» . . واليوت يذكر عن نفسه انه حين كتب بعض مسرحياته وجد فيها مقاطع شعرية لا تنسجم مع السياق المسرحي ، فأخرجها من المسرحية . . ولكنه لم يهملها ، وانما وضعها في الذاكرة ليستفيد منها في قصائد تالية ، كتبها . لا ادري هل حصل عندك شيء من هذا ؟

- لا . . انما حصل عندي العكس تماما . انني كنت كتبت قصيدة هي : « يوميات نبي يحمل قلما ينتظر نبيا يحمل سيفا » ، وأدمجتها في « ليلي والمجنون » . . ففي شخصيات « ليلي والمجنون » شاعر يلقي قصيدته على زملائه في مقهى ، فوضعت هذه القصيدة لانها كانت بنت نفس الفترة .

ان ما استبعده من المسرحية عادة امزقه . وأنا بالمناسبة ، كثير التمزيق لما اكتب . هناك كثير من الاشياء التي اكتبها لا أرضى عنها ، أو اعتقد انها يمكن أن تخرج يوما ما بشكل أفضل . . فأزقتها .

## ● وهل تعتقد ان مسرحياتك قد أضافت جديدا الى المسرح العربي ؟

- الذي يريد أن يقول أضفت قليلا . . والذي يريد أن يقول انها لم تضيف قليلا ، انما أريد أن أقول : انها أراحتني الى حد ما ، وان الذي سيكتب مسرحا بعدها سيكون الطريق أمامه ممهدا أكثر بكثير مما كان يوم بدأت أنا الكتابة . سيكون ، على الاقل . قد اهتدى بتجربتي . . أريد أن أقول : اذا كنت مهتدا الطريق لاحد أن يسلكه بأقل جهد وعطاء أكبر وأكثر ، أكون أدت دورا ، أو ان مسرحياتي أدت دورا .

عندما انظر الى المسرح العربي عموما أجدني مقتربا جدا من فهم المسرح كما أتصوره أنا . فكثير من مسرحيين اليوم أسرى مفهومات في المسرح المعاصر : مسرح الحركة ، وتعدد الشخصيات . فالمسرح في نشأته

ما شاء الله .. وان هناك خلوة ما بين الشاعر والمتلقي ؛  
لانه يقرأه في كتاب وهو جالس لوحده ..

### ● من هنا ، اذن ، كون شمره أقرب الى التأمل ، أو انك تدعو فيه القارئ للتأمل في حالات ومواقف معينة ؟

— طبعاً .. لانني أرجو أن يكون فيه الفنى الذي  
يجعل القارئ يفكر بعد أن ينهي قراءة القصيدة ، يفكر  
فيها .. في العالم الذي خلقته هذه القصيدة : كيف  
دخله ، وكيف خرج منه ، يفكر في ما تثيره هذه  
القصيدة من انطباعات في نفسه .. وأنا لست حريصاً  
على اطراب المستمع ، بقدر ما أنا حريص على اثارة ذهنه  
ووجدانه ، وتعميق احساسه بالاشياء .

### ● اذا كنا نستطيع أن نقول عن « الناس في بلادي » انه يمثل ذروة الاندفاع الشابة في تجربة مشدودة الى الامل العريض الذي أضاء فترة الخمسينات .. وعن « أقول لكم » بأنه بحث عن « الانسان — الانسان » في أرض الصراع اليومي ، وتعميق لمأساة هذا البحث في عصر ضائع هو ليس عصره .. وعن « أحلام الفارس القديم » انه تعبير عن شوق الانسان لعالم البراءة والفضيلة ومواجهة للانسان في خوفه من تحقيق ذاته .. فماذا يمكن أن نقول لنا عن « شجر الليل » بغنائته وشفافية الحزن فيه ؟

— أنا أقول ان الفكرة الرئيسية في « شجر الليل »  
أو الجو الرئيسي فيه ، هو أنني وقعت في كمين في  
سطر من هذا الديوان .. أقول فيه : « وانني أوشك  
أن أبكي / وانني وقعت في كمين » . فانا أعتقد ان  
حضارتنا العربية كلها قد وقعت في الكمين . ان  
صورة « شجر الليل » نفسها .. كيف ان شجر الليل  
يعانق نساء المدينة في صورة من صور الديوان .. كانه  
عناق جنسي ، لانه يعانقهم ، ويشبعهم .. ويدوبون  
فيه .. لاننا انتهينا الى حالة من استحلاب الاحزان  
والوان اليأس ، وامتصاصها .. هذه هي الحالة التي  
عبر عنها « شجر الليل » ..

### ● هل تجد انك تشارك زملاءك الآخرين من الشعراء المعاصرين في هدف ما ؟

— بلا شك .. فانا احب الكثير من القصائد  
لزملائي واصدقائي .. واقول دائماً كان دورنا هو قرع  
الاجراس لايقاظ الانسان العربي الضافي وبعث نبض  
الحياة الجديدة في نفسه . وربما كان هذا ما نسعى اليه  
جميعاً ونريد عمله بشكل ما .. لذلك أنا ضد مسألتين :  
ضد الكتابة التخديرية وضد الكتابة الصارخة ، المهونة ،  
المتفائلة بلا سبب .

الكلاسيكية ليست له حركة ولا تعدد شخصيات . كانت  
القصة التي تحكى على المسرح قصة يعرفها المتفرج ..  
لان أغلبها مروى من التراث الشعبي . اذن ، على ماذا  
يتفرج ؟ انه يتفرج على التناول . فالقصة أبسط عناصر  
العمل المسرحي ، وليس مهما كثرة الشخصيات ، كما  
في المسرح الواقعي .. فالمسرح تعميق لوجدان ..  
تعميق لحالة شعرية .

بهذا المعنى ، اعتقد انني مقرب من فهم المسرح  
اكثر من الذين يتكلمون عن الدراما بمفهومها الذي  
اكتسبته بتأثير المسرح الطبيعي ( الواقعي ) في القرن  
العشرين ، والذي اعتقد انه انحراف في طبيعتها .

### ● هل التجربة حينما تبدأ عندك ، تفترن منذ البداية بشكل معين ؟

— نعم .. فحينما أفكر بكتابة قصيدة تشرق في  
ذهني ، أو في خاطري ، الاسطر الاولى فيها . وتأتي  
خاطري ثانية فتومض في ذهني من خلال اشخاص  
يتكلمون ، فكأنها لا بد ان تكتب بشكل مسرحي . وهكذا .

### ● هل للايقاع عندك علاقة بالشكل ؟

— طبعاً .. طبعاً .. بلا شك ، فالومضة الاولى  
تكون بايقاعها وشكلها ، وأنا لا أتصور انني أصمم  
لكتابة قصيدة في مناسبة ما .. انما أجد نفسي ، في  
فترة من الفترات ، وقد ورد الى ذهني سطر معين ،  
يستدعي سطوراً أخرى ، كلها تتحدث في اطار واحد .

كنت ذات يوم في دمشق .. في مهرجان أبي  
تمام .. تذكرت أبا تمام .. من خلال مواقف وحالات  
معينة .. فكتبت قصيدة . لم اكن انوي كتابة شيء ..  
لم أترصد لكتابتها .. انما وردت الى ذهني دون سعي ..  
دون تعمد ..

### ● هناك ملاحظة ، فانت من بين الشعراء المجددين الذين لم يكتبوا شعراً عمودياً إلا في حالات نادرة جداً ، خلال الفترة الممتدة من أول ديوان لك : « الناس في بلادي » ، حتى الآن ، في حين ان بعضاً من زملائك الآخرين كتبوا في هذا الشكل .

— انها المناسبة . فالشعر العمودي هو شعر  
تجمعات . فحين تفتي قصيدة عمودية يمكن أن أثير  
فيها التصفيق ، لانها قادرة على أن تتغلغل في التجمع ،  
فصوت الشاعر فيها صوت مطلق ، والخطابية فيها  
ممكنة . وفي التجمعات يكون الشكل العمودي أسلم .  
وأنا ، لا أحب ان ألقى شعري في التجمعات ..  
وأعتقد ان الشعر في عصرنا سيظل مقروءاً بالعين الى

في الخيال ، التي هي انتقال ، فهو بعد أن يخرج منها لا بد أن تترك في نفسه اثرا ما ، أو ذكرى ، أو رغبة في العودة اليها مرة ثانية .. تاركة في نفسه خاطرا أو فكرة ، أو صورة ... انما حين تكون القصيدة وأنت تقرأها تحسّ انها كالصحراء ، ليس لها باب ولا مدخل ، ولا مخرج .. جملة صور وتلوينات ، في مثل هذه الحالة تفقد القصيدة شيئا مهما ، هو التركيب أو التشكل . من الجائز أن تكون فيها صور جيدة ، الا انها تفتقد التشكل .

● أخيرا اود ان اسالك : ما هو المسار المستقبلي الذي يرسمه صلاح عبد الصبور لنفسه : شاعرا ، ومسرحيا وكاتبا ؟

— بصراحة ، لا ادري ، فانا قد اخطت لاشياء كثيرة في حياتي ، انما لا أستطيع أن اخطت لانتاجي ، فانا أريد أن اكتب في المستقبل ما ارضى عنه .. انما كيف سيكون ذلك ؟ بأية صورة ؟ بأي شكل فني ؟ حقيقة ، لا اعرف ..

ماجد صالح السامرائي  
بغداد

صدر حديثا :

مذكرات الصديق لورا

وأغاني زهران

الليسة للحمود

● هل في ذهنك فكرة متكاملة عن مكانة الشعر العربي بين الناس في الوقت الحاضر ؟

— اعتقد ان لنا قارئا . اعتقد ان للشعر العربي قارئا . كان هذا القارئ اكثر انتعاشا في ستينات هذا القرن .. ربما نتيجة لوطاة الحياة اليوم ، كان يخلع ثقته على شعرائه .. على أساس انهم أصوات ، ربما في السبعينات فقد القارئ قدرا من الثقة نتيجة لاشياء كثيرة ، منها ان الشعراء لم يتحملوا قضيتهم كما يجب .. وكثير منهم لجأ الى نوع من الغموض السخيف .. ونوع من الدجل الشعري ، والتهريج الثقافي ، وهنا بطبيعة الحال ، يفقد القارئ الثقة ، وتوسع المسافة بينه وبين الشاعر .

وانا أقول انه لا بد من انحسار موجتين عن الشعر العربي الحديث :

■ الموجة الاولى : موجة الشعبية ... بمعنى أن يقول الشاعر انه يريد ان يصل الى كل الناس . ليس هناك شاعر يصل الى كل الناس ، أبدا ، أبدا . فالشعر هو من تحريك القلة .. تحريك قلة ثقافية حساسة من الناس للتأثير في الكثرة .. فالشاعر الذي يستطيع أن يجعل الشعر كالخبز شاعر سريع العطب ، وسريع الاستهلاك ..

■ والموجة الثانية هي موجة الاغراب .. وهي نتيجة لتصور بعض الشعراء انهم اذكي من قارئهم . ليكن ذلك .. ليكونوا اذكي .. ولكن يفترض بالشاعر ان لا يدل على القارئ بأنه اذكي منه .. فيعلبه ، وفي النهاية فان الغموض هو وضوح ، أو ينبغي أن يكون وضوحا . ينبغي أن لا يعبر الشاعر عن تجربة لم تتضح في نفسه . أنا اعتقد ان اعرق التجارب وأكثرها غموضا يمكن التعبير عنها بمنتهى الوضوح . وامانا أبرز مثل على هذا قصص دوستوفسكي .. فهي من أكثر التجارب عمقا وغموضا . ولكنه عبر عنها بمنتهى الوضوح . لان الكاتب بذل جهدا في تأملها وفي تبصرها .

وانا اعتقد انه بانحسار هاتين الموجتين سيسترد الشعر العربي المعاصر مكانه ، ويتسع قارئه .

● ما تقوله يثير التساؤل عن مفهومك للشعر ، وفكرتك عن القصيدة .

— القصيدة عالم ، فالانسان ( القارئ ) يتجاوز عالمه ويدخل عالم القصيدة ، والقصيدة التي لا تستطيع ان تنقل قارئها الى عالمها ، ويدخلها كأنه يدخل عالما جديدا ، بأبوابه الجديدة .. يدخلها ، ويخرج منها ، ثم يعود اليها عندما يحب ، ليست قصيدة . القصيدة ينبغي أن يكون لها عالمها .. ان تكون لها أبعادها وتخومها التي يدخلها الانسان ، يتجول فيها فترة ، ويخرج منها ، بعد ذلك . ويسترجمها اذا أحب ككل احلامنا ونزهاتنا